

بعض المظاهر الحضارية في شمال أفريقيا

أولاً - الزراعة؛

كان سكان المناطق الخصيبة من السواحل الليبية يعيشون عيشة شبه مستقرة؛ ذلك أنهم بسبب سقوط أمطار شبه منتظمة تحولوا تدريجياً من عادة الترحال إلى شبه الاستقرار فصاروا يقيمون في فصل الشتاء الممطر لأداء الأعمال الزراعية وينتقلون في الصيف طلباً للمرعى. وخير مثال على هذا هم الناسامونيون، الذين كانوا يقيمون حول خليج سرت الكبير، فقد كانوا يتركون قطعانهم هناك في الصيف ويذهبون إلى أوجلة لجني التمور. وكان المكاي كذلك ينتقلون بمواشيهم على الشريط الساحلي في الشتاء، فإذا حل الصيف وقلت المياه بالقرب من الشاطئ ابتعدوا عنه إلى الداخل، وربما كانت غايتهم في مثل هذه الحالة هي جبل غريان الخصيب. لا بد أن البسلي كانوا شبه

مستقرين أيضاً فقد وصل إلينا أنهم كانت لهم آبار ماء دائمة.

أما في دواخل البلاد فقد كان طابع حياة البدو الرحل هو الطابع السائد الغالب على حياة سكان هذه المناطق. ونحن نعرف أنه حتى عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين في مصر كان الليبيون لا يزالون واقعين تحت سيطرة الميل للهجرة من مكان إلى آخر، وما كان غزوهم لمصر إلا من هذا القبيل. وبعد هذه الفترة بألف سنة أي في أيام هيروdotس في القرن الخامس قبل الميلاد توقفت الهجرات وبدأ البدو شبه المستقرين يشغلون المناطق الساحلية بينما بقيت قبائل الدواخل، باستثناء سكان الواحات الذين ربما كانوا قد استقروا منذ وقت مبكر واشتغلوا بالزراعة البدائية في واحاتهم، تعيش عيشة البدو الرحل. وبعد مضي أقل من ألف سنة أخرى كان سكان السواحل من الليبيين قد استقروا في مدن وقرى في مناطق مارماريكا وبرقة وحول خليج سرت الكبير .

ولكن البدو الرحل في الدواخل بدأوا يهاجمون القرى والمدن الليبية المستقرة كما حدث عندما قام الأوزوريون (الأستوريون) باجتياح منطقة المدن الخمس قبيل الفتح العربي.

وكان من أهم محاصيل الشمال الأفريقي نبات السلفيوم، وقد انتشر في منطقة تمتد من خليج سرت غرباً إلى خليج بومبا شرقاً، واستخدم في العلاج الطبي لكثير من الأمراض المتعددة، وقد ورد ذكر هذا النبات عند هيوقراط وهيرودوتوس وأرسطو وأريستوفانيس.

وعثر الأثريون على موضوع مصور يدور حول وزن وتخزين نبات السلفيوم وفيه يراقب الملك تخزين سفينة تجارية وقد رسم على قده اسبرطي في الربع الثاني من القرن السادس قبل الميلاد. وكانت جذور السلفيوم ترسل إلى أثينا لتحفظ بوضعها في أواني بعد خلطها مع الدقيق أو لتؤكل

طازجة بعد تقطيعها إلى شرائح وإضافة بعض الخل إليها.

ومن أهم المحاصيل الزراعية أيضاً هي الشعير والقمح، كما اشتهرت كيريني بانتاج الخضروات والفواكه، وكان من أهمها الكروم والزيتون، كذلك ينتج الإقليم اللوتس والزعفران ذات الرائحة العطرة.

كان الليبيون يعيشون على القمح والشعير يأكلون حبوبه كما هي أو يدقونها ويخبزون معجونها بدفنه في النار. وكان بعضهم يتغذون بجذور النباتات والخضروات والبعض الآخر مثل الجزائنيين كانوا يأكلون لحوم القرود المغربية Barbary Apes بينما كان التروجلودايت يأكلون لحم الأفاعي لعدم وجود غيرها عندهم. وكان الليبيون القاطنون حول خليج سرت يلتقطون الأسماك المتخلفة بعد انحسار المد، كما كانت عادة أكل الجراد شائعة فقد اشتهر الناسامونيون بتجفيفه وسحقه ثم خلط مسحوقه مع الحليب وشربه.

وكانت هناك أشجار النخيل التي كان الليبيون يستفيدون من ثمرها كغذاء لهم، ويصنعون منها نوعاً من النبيذ كما كانوا يصنعون من لفائفها ما يحتاجونه من حبال.

ثانياً - الصيد؛

وكان الصيد من أهم عوامل الاقتصاد الليبي، ولا بد أن نشير إلى ليبيا بأسرها كانت منذ عصر ما قبل التاريخ مليئة بأصناف شتى من الحيوانات والوحوش. وقد وصفها هيرودوتس في وقته « بأنها مليئة بالوحوش في مناطقها الداخلية الواقعة ما وراء السواحل. وكان من بين الحيوانات والوحوش الي ذكرها هيرودوتس الطباء، والغزلان، والجاموس، والحمير التي كانت لا تحتاج إلى الشرب، وبقر الوحش الإفريقي، والثعالب، والضباع، والكباش البرية، وبنات آوى، والنمور، وتماسيح البر.

ثالثاً - استئناس الحيوان؛

كانت القبائل البدوية التي كانت تسكن الأقسام الداخلية من ليبيا كانت تربي نوعاً من الثيران تتميز عن غيرها بسيرها إلى الوراء أثناء الرعي، ذلك أنها بسبب قرونها الطويلة الملتوية إلى الأمام باتجاه الأرض كانت لا تستطيع أن تسير إلى الأمام وهي ترعى لأنها لو فعلت لاشتبكت قرونها بالأرض. ووصف هيرودوتس تلك الثيران بأنها كانت كغيرها من الثيران باستثناء أن جلودها كانت أصلب وأكثر سماكة.

أما الضأن فقد ذكر استرابو وجوده في الأجزاء الداخلية من البلاد، وبالنسبة للحصان فإنه لم يعرف في ليبيا إلا في مرحلة متأخرة بعد أن تم إدخاله إليها من مصر. ولم يعمم وجود الحصان في الشمال الإفريقي والأجزاء الساحلية والداخلية من ليبيا إلا في بداية العصر الكلاسيكي وإن كانت فزان

قد عرفته على أيدي الجرامنتيين، وهذه الخيول وإن كانت صغيرة الحجم إلا أنها كانت قوية صلبة، سريعة العدو، وكان تزويضها وتدريبها ممتازاً في أغلب الأحوال، وظل الحصان من أكثر الحيوانات أهمية في ليبيا حتى ظهور الجمل، وانتشر استخدامه في المناطق الصحراوية والرملية بشكل خاص فبدأت أهمية الحصان تتضاءل نظراً لقدرة الجمل على تحمل العطش وعلى السير في المناطق الرملية التي تغوص فيها قوائم الحصان مما أعطى الجمل ميزة الصبر على السفر الطويل.